مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 12-العدد 02 – 2021،ص ص199-214

قضايا الخطاب التربوي لدى بيير بورديو: دراسة تحليلية نقدية

Issues of the educational discourse of Pierre Bourdieu "A critical analytical study"

سليمة ذياب[1]*، بلال بوترعة [2]

[1] جامعة الوادي، الجزائر ، مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، dhiab-salima@univ-eloued.dz

[2] جامعة الوادي- الجزائر، bouterabelal@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/04/23 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/16 ؛ تاريخ النشر : 2021/06/07

الملخص

يعتبر تحليل الخطاب التربوي في حقل الدراسات الاجتماعية أداة جديدة ساهمت في إغناء علم اجتماع، وفي هذا الخطاب يحاول بيير بورديو إرساء أسس منهج جديد، ومشروع نقدي جديد، وهي محاولة من أهم المحاولات التي حظيت باهتمام الباحثين والنقاد الغرب والعرب، وهي محاولة لا تنفك بدورها من التأثير في ثقافتنا العربية ومقررتنا الجامعية.

فقد سعى بيير بورديو في كتابه اعادة الانتاج إلى تحديد إشكاليات وقضايا التي يعاني منها الخطاب التربوي في المدارس الفرنسية، بعد أن وضع مفاهيم وفقا لأطر مرجعية وضح فيها آليات الصراع في الوسط التربوي، ويحاول أن يؤسس للمفهوم إعادة الإنتاج معتبرا أن التعريف المادي غير مجد، لذلك يعتبر أن عمله لابد أن يركز على إطار التربية إلى الثقافة، متسائلا: كيف يمكننا تعاد بناء بنى المجتمع في الوسط التربوي الثقافي؟

الكلمات المفتاحية : الأصل الاجتماعي؛ الخطاب التربوي؛ التباين اللغوي.

Abstract

The analysis of educational discourse in the field of social studies is considered a new tool that contributed to enriching sociology, and in this discourse Pierre Bourdieu tries to lay the foundations for a new curriculum and a new critical project. Influencing our Arab culture and our university curriculum.

Pierre Bourdieu sought in his book, Reproduction, to define the problems and issues that the educational discourse in French schools suffers from, after he developed concepts according to frameworks of reference in which he explained the mechanisms of conflict in the educational milieu, and he tries to establish the concept of reproduction, considering that the material definition is useless. He considers that his work should focus on the framework of education to culture, wondering: How can we rebuild the structures of society in the educational and cultural milieu?

Keywords : Social origin; Educational discourse; Linguistic variation.

*سليمة ذياب.

المنارة للاستشارات

مقدمة:

تعتبر المؤسسة التعليمية أحد المحاور الأساسية للدراسة في علم الاجتماع التربية فهي تساعد في دفع عجلة التقدم العلمي والاجتماعي، ذلك أنها مسؤولة عن تأهيل الأفراد للاندماج داخل المجتمع وإعدادهم للأدوار المنوطة بهم في مختلف مجالات الحياة. وتخريج نخبة من الأفراد للمساهمة في تحقيق التنمية في كافة المجالات الاجتماعية.

والخطاب التربوي باعتباره أحد المواضيع الأساسية داخل المؤسسة التعليمية يتصل به مجموعة من العناصر المتفاعلة مع بعضها البعض؛ وهي: المعلم، والتلميذ، والمنهاج الدراسي، وشبكة علاقات، نظام إداري؛ حيث أن انسجام هذه العناصر يحدّد نوعية المخرجات التي تقدمها المدارس والتي ستواجه تحديات مختلفة وفقا لتغيرات المعرفية المتجددة.

ويؤدي الخطاب التربوي دورا أساسيا في البناء الاجتماعي داخل المؤسسة التعليمية، وبتالي تشكيل الواقع الاجتماعي؛ لذا فالخطاب التربوي يعتبر من المواضيع الأساسية التي عملت نظريات علم اجتماع التربية بكافة مراحلها على تحليله ودراسته.

ومن بين الباحثين الذين درسوا الوسط التربوي من الجانب الثقافي والذين درسوا مشكلات التربية أكثر واقتربوا منها أكثر العالم الاجتماعي "بيير بورديو" وهو أحد رواد المدرسة الماركسية المحدثة في فرنسا، وأبرز مفكري البراديغم الصراعي النقدي وصاحب نظرية "معاودة الانتاج الثقافي"؛ فقد تميزت كتاباته بالرؤية المتعمقة التحليلية النقدية والتي تناولت العديد من قضايا الواقع الاجتماعي والتربوي، كما تميزت تحليلاته أنها أقرب لصورة الواقع المعاش فلم يكون خطابه لفئة معينة، ولم يكن بعيدا عن واقع ومتطلبات الطبقات الفقيرة، يأخذ بيير بورديو موقفه من الصراع العام بمقاربته للنظام التعليمي، كمجال مرتبط بالنظام الاجتماعي ككل.

تقدم بيير بورديو لسنوات طويلة خطوة فخطوة يريد اكتشاف حقيقة إعادة تشكل البناء الاجتماعي، من خلال دراسة عميقة للوسط التعليمي التي بدأها منذ أيام ماركسيته، فدرسه دراسة عميقة فظهرت أمامه الحقيقة واضحة جلية وانتهى إلى الاكتشاف العظيم الذي عرضه في مجموعة أطروحات ضمنها شرحا للعلاقة التبادلية بين الصراع الاجتماعي والتربية وهذا في بعض خطاباته .

المنارة للاستشارات

وهذا المفكر هو أحد العلماء المعاصرين الذين بذلوا جهدا في مجال التربية، وذلك من خلال البحث في حقيقة البنية الفوقية للمجتمع، وكيفية تشكلها وإعادة انتاجها في الوسط المدرسي ومنها: الأصل الاجتماعي والتباين اللغوي كقضايا أساسية في تكوين المكانة الاجتماعية لدى التلاميذ خلال تفاعلهم داخل الوسط المدرسي.

- **إشكالية الدراسة:**

مما سبق يمكننا طرح التساؤل الرئيس كالآتي:

– ما هي أبرز الأطروحات الرئيسية التي طرحها بيير بورديو في معالجته للخطاب التربوي؟

- **تساؤلات أساسية:**

تفرعت عنه عدة أسئلة بحثية:

– كيف يساهم التباين اللغوي للفرد في إعادة انتاج السلطة الاجتماعية من منظور بيير بورديو؟

– كيف يساهم الأصل الاجتماعي للفرد في إعادة انتاج السلطة الاجتماعية من منظور بيير بورديو؟

- **أهمية الدراسة:**

إن اختيار بيير بورديو لم يكن اعتباطيا، بل يرجع لتأثيره الكبير في الكثير ممن اهتموا بموضوع إعادة إنتاج الثقافي من خلال الوسط المدرسي، وكونه ركز على عدة قضايا لها علاقة بالتربية وبنية المجتمع الثقافية والداعي إلى الاهتمام به دون غيره، يرجع ذلك إلى أنه يمكن اعتبار تصوراته عبارة عن نقد للواقع وتوضيح للحقائق حول بعض الممارسات والسياسيات التربوية، لذا فإن أفكار بيير بورديو مازالت قابلة للاستلهام وتجدها حاضرة في الكثير من النقاشات في مجال التربية، خاصة أنه خلف أكثر من كتاب حول الخطاب التربوي في المؤسسة التعليمية، الشيء الذي ترك فينا الحماس للرجوع إليها ومناقشتها في بحوثنا الأكاديمية، ومحاولة الاستفادة منها بطرق أكثر فعالية.

- **أهداف الدراسة:**

المنارة للاستشارات

نتوقع أن تقدم هذه الدراسة قراءة ابستمولوجية لأهم القضايا الرئيسية التي طرحها بيير بورديو حول الخطاب التربوي، وذلك بالاستناد إلى إجراءات منهجية جديدة ترى الباحثة أنها أكثر فعالية، والمتمثلة في توظيف مسلمات وأدوات مقاربة التحليل النقدي للخطاب.

●المفاهيم الأساسية للدراسة:

إن البحث عن التعاريف المرتبطة بمفاهيم الدراسة عملية سهلة لا تتطلب مجهود كبير من الباحث، إنما الأمر الصعب هو فهم تلك التعاريف في سياق الدراسة الحالية خاصة في علم الاجتماع فهي محكومة بقوة الواقع وتغيراته.

الخطاب التربوي :

هو" الكلام الذي يدور حول التربية، وأوضاعها وقضاياها ومشكلاتها، وهمومها، سواء أكان هذا الكلام شفويا أم كلاما مكتوبا وسواء أكان هذا الكلام تعبيرا عن فكر علمي منظم، أم كلاما مرسلا عاما". (عبود،2002، 43)

فهو كل "خطاب صادر عن الفاعل التربوي، يروم منه تقديم بدائل وحلول لقضايا التربية، وتندرج ضمنه الكتابات التربوية، والتشريعية، من مذكرات تربوية، وأطر مرجعية ومناهج التربية، مفتشين وأساتذة، كما تندرج ضمنه الكتابات المتضمنة للتشريع المدرسي وقضايا مهنة التدريس". (صديقي، 2016، 99)

إن لكل خطاب تربوي فلسفة وأيديولوجية تحدد أولوياته وموضوعاته وتحجم قوته، وتفاضل بين مفردات اللغة التعبيرية التي تنتج شكل الخطاب وتوحي بمضمونه أيضا.

الصراع:

لم يتفق العلماء على تعريف موحد للصراع، لذا نتطرق لبعض هذه التعاريف ومحاولة الخروج بمفهوم مشترك للصراع.

أ– الصراع لغة:

"الصراع مصطلح مأخوذ من الكلمة اللاتينيةconflictus ، التي تعني: التطاحن معا باستخدام القوة، وهي تدل على عدم الاتفاق أو التنافر أو التعارض، أما كلمة conflictفتعني العراك أو الخصام أو الصدمة، إذا يعني الصراع اشتقاقا التعارض بين مصالح وآراء أو الخلاف، وبهذا المعنى اللفظي يشير الصراع إلى التفاعل الذي تتعارض فيه الكلمات والعواطف والتصرفات مع بعضها البعض"(المومني: 2016، 41).

المنارة للاستشارات

ب- الصراع اصطلاحا :

الصراع في أكثر مستوياته عمومية ينصرف إلى مجموعة من الظواهر تتراوح بين الخلافات الأيدلوجية والمشاحنات المجتمعية إلى صراعات طبقية كما يحتوي المنافسات الدولية والعالمية والحروب والنزاعات الداخلية والإقليمية، فضلا عن حلبة التنافس الاقتصادي، وبصورة أكثر طلاقة فالمفهوم يتعلق بتصادم وتضاد مصالح وحاجات الوحدات الاقتصادية والاجتماعية والذاتية والموضوعية التي تخضع لمؤشرات بنائية وسياسية واقتصادية تعمل على تحديد نوع ودرجة اتساع وشدة الصراع داخل المجتمع وخارجه" (فتلاوي، 2009، 105)

أما رحيم فقد عرف الصراع بأنه" عملية تفاعلية تظهر عند الاختلاف والتنافر أو عدم الاتفاق بين الأفراد والجماعات، أو عمد تدخل أحد الأطراف في أنشطة الطرف الآخر ومنعه من تحقيق أهدافه، أو عند وجود حق إداري لأحد الطرفين بتفضيل سلوك أحدهم على الآخر في أثناء قيامهم بنشاط مشترك، أو عندما تكون اتجاهات الطرفين أو قيمهم أو معتقداتهم أو مهاراتهم متباينة". (قطيشات، 2010، 62)

التباين اللغوي:

"فهو يعبر عن أنماط خاصة من التعبير، تتباين في مستوى رمزيتها وفي تسلسلها المنطقي وفي غزارة المفردات وأنماط الدلالة". (وطفة، الشهاب: 2004، ص184)؛ ونقصد به الاختلافات الإقليمية أو الاجتماعية أو السياقية في طرق استخدام لغة معينة، يعرف الاختلاف بين اللغات واللهجات والمتحدثين باسم الاختلاف بين المتكلمين .

الأصل الاجتماعي:

ينظر بازل برنشتاين إلى الأصل الاجتماعي بوصفه: " عاملا محددا للعلاقات اللغوية المحددة، وبعبارة أخرى تنطوي البنى الاجتماعية على أشكال لغوية تقوم بدورها في عملية التحويل الثقافي" (وطفة: 2019) بمعنى الأصول الاجتماعية للفرد داخل المجتمع، التي يكتسب من خلالها أساسيات التكيف الاجتماعي، وفقا للبيئة والتربية والتنشئة الاجتماعية.

- **الدراسات السابقة:**

لقد أثبتت دراسة "حسن معاش"(2018) حول الأصل الاجتماعي للأسرة وانعكاساته على اتجاهات الأبناء (12-17 سنة) نحو ممارسة رياضة السباحة دراسة ميدانية ببعض مسابح مدينة الأغواط دور الأصل الاجتماعي في إعادة تشكيل البناء الاجتماعي،

المنارة للاستشارات

حيث أشارت إلى أن الأصل الاجتماعي يختلف من أسرة إلى أسرة ومن منطقة إلى أخرى ويختلف أيضا من زمن إلى آخر، حيث تعتبر المستويات في شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية هي الأساس لمعرفة مفهوم الأصل الاجتماعي، حيث خلصت الدراسة أن هناك علاقة بين الأصل الاجتماعي للأسرة واتجاهات الأبناء نحو ممارسة رياضة السباحة تعزى للمستوى الاقتصادي والثقافي والتعليمي والاجتماعي للأسرة.

أما دراسة فتيحة زياني (2019) حول تأثير الأصل الاجتماعي للتلميذ في مستوى تعلمه للغة الفرنسية، فقد ركزت على مدى مساهمته في إعادة إنتاج التفاوت في المستوى اللغوي بين المتعلمين تبعا لآليات الفعل البيداغوجي المدرسي. وتمّت الإجابة على هذه الإشكالية من خلال النتائج التي توصلت لها الدراسة المتمثلة في أن انتماء التلميذ إلى فئة سوسيومهنية معينة يتحكم في مستوى تعلمه اللغة الفرنسية من جهة، ومن جهة ثانية يساهم، بتدخل آليات الفعل البيداغوجي في إعادة انتاج المستويات اللغوية المتفاوتة (المتباينة) للغة الفرنسية تبعا لوضعيتها لدى الأصول الاجتماعية للمتعلمين كلغة أجنبية أو كلغة ثانية، وبالتالي التأكيد علاقة البنية الاجتماعية باللغة وبالتعليم.

بالإضافة إلى دراسة بوزرار ربيحة دينارزاد (2018) التي أشارت إلى وظيفة اللغة الاجتماعية وأهميتها، وتأثير الوسط الاجتماعي في تطورها، بحيث تبرز الذات الفردية وسط الوجود الاجتماعي، ثم تكامل هذه الذات الفردية مع العناصر الاجتماعية الأخرى، وعلى هذا تعتبر المؤسسة التعليمية من أهم مؤسسات التنشئة اللغوية التي تهدف إلى ربط الفرد ببيئته الثقافية وعليه تبليغ لغة المجتمع.

1. الأطروحة الأولى: مساهمة التباين اللغوي في تشكل السلطة في المجتمع

فالتربية المدرسية لا يمكن أن تحقق النجاح إلا إذا كان هناك تعسفا ثقافيا d'un arbitraire culturel في الأسرة كذلك، أي في الجماعة الأولية للفرد، حيث أنه كلما وجد توافق بين العمل البيداغوجي داخل الفصل، والعمل البيداغوجي داخل الأسرة، كلما كانت عملية إعادة إنتاج نفس الطبقة سهلة. بمعنى أن ما يدرس في المدرسة من مناهج لابد أن تجد لها دعم أسري، فهو يرى: " أن للطابع التقليدي الخاص بالنشاط العائلي، الذي

المنارة للاستشارات

يسعى عندما يتولى مهام التربية في السنوات الأولى إلى تحقيق النشاط الأكمل ويستطيع تبعا لذلك، أن يلعب، حتى في المجتمعات الحديثة، دور المحافظة على الموروث". (بيير بورديو: 1994 ، ص 45)

أما بالنسبة "لاستراتيجيات المدرسية (بوصفها أحد مكونات الرأسمال الثقافي) هي كذلك عامل قوي للزواج المتشابه في السوق الزواجية. وبالتالي، فهي تسهم بصفة غير مباشرة في إعادة الإنتاج الاجتماعي: الأزواج لا يتشابهون فقط بالنظر إلى أصلهم الاجتماعي وإنما يتشابهون أيضا في مستواهم الدراسي. (بوخريسة:2017، ص 158)، كذلك يرى بيربورديو أن المؤسسة التعليمية تمثل " المؤسسة المثلى التي تستثمر بكثافة ترسانة من الأشكال التقعيدية، فتؤثث بهالة من القواعد المعقدة والتي تعمل عبر طقوس مأسستها على إنتاج التفاوت الاجتماعي وإعادة إنتاجه. فالحقل المدرسي أكثر الحقول إبداعا للتفاوت الاجتماعي...فتقيم توزيعا لا متكافئا للجزاءات الثقافية تمنح رأس المال الثقافي للبعض بما أنهم الشرعيون لاكتسابه، وتحرم البعض الآخر لمهانة جدارتهم. إنها تستند إلى فعل تهجين تحول به اللا مساواة الاجتماعية وأسسها الثقافية القائمة على الشهائد العلمية إلى لا مساواة طبيعية". (بورديو، باسرون: 2007 ، ص ص 70-71)

لقد ركز بيير بورديو في تحليله لبنية النظام الثقافي على المكتسبات اللغوية، فإن رأس مال اللغوي لا يكف عن مزاولة تأثيره؛ بمعنى أن التمكنات اللغوية تحدد مسار الفرد في الجامعة، والعمل خاصة الأكاديمي، فكلما كانت التمكنات اللغوية جيدة تحصل الفرد على مكانة عالية، لأن من خلالها تزيد مكتسبات الفرد المعرفية والعالمية فيستفيد منها في إجراء اختبارات العمل أو أطوار الجامعة سواء كانت كتابة أو شفوية وهو يتوفر غالبا عند الطبقات المسيطرة التي وضعت المعرفة والمناهج الدراسية. حيث يقول " ونحن نعلم أن ما يؤدي إليه

المنارة للاستشارات

التأهيل الذي لا ينفصل عن الحياة اليومية ويتم خاصة من خلال امتلاك اللغة الأم، أو استخدام مفردات وعلاقات القرابة هو تشكل نوع من الاستعدادات المنطقية التي يمكن التحكم بها على صعيد الممارسة، ولما كانت الاستعدادات تختلف من حيث التعقيد ودرجة الصياغة الرمزية من جماعة إلى أخرى أو من طبقة إلى أخرى، فإنها تهيئ، بصورة متفاوتة، للتحكم الرمزي بالعمليات الضرورية للاحتجاج الرياضي أو لفك رموز أي عمل فني". (بورديو: 1994، ص 60)

إن التربية المدرسية تكرس القهر الثقافي ليتحول لعنف رمزي فهو يعتبر "أن أي نشاط تربوي هو موضوعيا نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه فرض من قبل جهة متعسفة لتعسف ثقافي معين" (بورديو: 1994، ص 07) مما يشكل عند التلاميذ مقاومة ضد المناهج، والمعلمين، والإدارة مما ينتج عنه اتخاذ قرار استبعاد مبكر من المدارس سواء أكان ذاتيا أو إداريا.

"التلاميذ المنحدرون من أصول بورجوازية يدرسون الآداب القديمة ولغاتها منذ المرحلة الثانوية، بالإضافة إلى أن وسطهم العائلي يمكنهم من إتقان اللغة، وامتلاك استعدادات وعادات ثقافية ومهارات فكرية وشخصية مشروطة اجتماعيا، تجعلهم أكثر استعدادا للتفوق المدرسي، إضافة إلى الدور الذي تلعبه شروط الحياة الداخلية، كالمسكن والملبس ووسائل الترفيه والإمكانات المادية من الرفع من مستوى التفوق"(Bourdieu et Passeron ,1970,p 11)،أما المتعلمون المنحدرون من الطبقات الدنيا فإنهم يختارون " شعبا لا تؤدي إلى نجاح اجتماعي مضمون كشعب الآداب".(Bourdieu et Passeron ,1970,p23)

وهم يبحثون عن دراسات مختلفة خارج نطاق البرامج الدراسية لأن الثقافة الحرة تؤدي إلى النجاح الجامعي في مثل تلك الشعب، أما أطفال البرجوازية الصغيرة " فهم مولعون

المنارة للاستشارات

بالقيم المدرسية في حين يتميز أعضاء الطبقات الوسطى عن الطبقات الدنيا بمعرفتهم الواسعة بالثقافة" كل هذه الأشياء تكرس عنفا رمزيا

(Bourdieu et Passeron ,1970,p 38)

وبهذا يمكن أن نفهم محاولة الفئات المسحوقة في أن تنجح في السلم التعليمي و أن تعيد تربية ذاتها طبقا لثقافة الاستبداد، وبالتالي أن تكدس ما أمكن من " الرأسمال الثقافي" المشروع. ويعتبر هذا منطقيا في الوقت الذي ترتبط أنواع الثقافة بقوانين السوق. فالثقافة الناتجة عن الأعمال التربوية وعبرها عن التعسف الثقافي تعتبر رأسمال ثقافي معترف به وتعطى له قيمة اقتصادية ورمزية أعلى خصوصا في سوق العمل، هكذا يمكن أن نتفق أنه". لابد أن نعترف أن هناك ضغطا بمنتهى القوة يدفع باتجاه معاودة إنتاج " التعسف الثقافي" الذي يتمتع بأعلى قيمة بصفته رأسمال ثقافي. وهكذا تحافظ هذه المعاودة على نظام معين و تصونه هو النظام الذي تجد فيه الصفوة أن من أسهل الأمور عليها إعطاء نفسها صفة الديمومة ".

(Bourdieu et Passeron, 1970,p151)

2. الأطروحة الثانية: اسهامات الأصل الاجتماعي في تشكل السلطة في المجتمع

إن المجتمع – كما يراه بورديو- "يشكل وحدة اجتماعية وظيفية، ومن ثم فإن نمط التضامن الذي يحافظ على وحدة المجتمع يخفي نسقا من علاقات القوة والهيمنة التي توضع في خدمة الطبقة السائدة. وفي هذا المستوى من التضامن الاجتماعي يعمل أصحاب الامتياز على فرض هيمنتهم لكونهم يمتلكون الوسائل التي تمكنهم من الاحتفاظ بالمناطق العليا في الفضاء الاجتماعي في المجتمع. " والنظام الاجتماعي حسب بورديو "يستند في جوهره إلى

المنارة للاستشارات

معطيات النظام المدرسي، وهذا يعني- من ثم- أن النظام المدرسي يسهم بصورة مباشرة في عملية إنتاج النظام الاجتماعي على نحو كلي". (وطفة، 2019)

تحدث بيير بورديو عن العلاقة بين البيئة الأسرية كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية والمؤسسة التعليمية؛ مشيرا إلى دور الأسرة (الوالدين) في دعم الأنشطة الطلابية والمدرسية، والعمل على تعميق قدراتهم الثقافية والأدبية التي يكتسبونها من الأسرة والمدرسة؛ الأمر الذي يجعل هؤلاء الطلاب دائمي الحفاظ على رأسمالهم الثقافي، وما اكتسبوه من خبرات طيلة فترات الدراسة المختلفة، بالإضافة إلى نمط المنح الدراسية التي تسهم إسهاما كبيرا من الناحية النظرية والتجريبية للطلاب؛ مؤكدا أن ذلك قد يختلف باختلاف الأسر والبيئات الاجتماعية ونمط الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، مع إضفاء الطابع المؤسسي على معايير التعليم المكتسبة طيلة مراحل التعليم وما بعدها. (حسين: 2015، ص 694)

نستنتج مما ذكر سابقا أن العلاقات التي تدور داخل الوسط التربوي مسؤولة بالدرجة الأولى على تشكل الرأسمال الاجتماعي الذي له الأثر الكبير في نشأة المجتمعات، لذلك فهي ليست مجرد أثر ناتج عن إضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى مجتمع معين. والعمل بروح الفريق الواحد، يمثل حاصل مؤكد لمجموعة قيم الخير التي تزرع في شخصية الفرد، وهكذا يستدعي البناء المجتمعي تحركا متواصلا ومبرمجا، لبناء الشخصية السليمة منذ ولادتها، عبر الحرص والعمل المنظم لزرع قيم الخير، في شخصية الانسان منذ بدايات النشأة والنمو، لأنها ستنمو مع الانسان وتكبر معه، وتصبح جزءا لا يتجزأ من تكوينه المادي والفكري في وقت واحد، فيحصل المجتمع على فرد منتِج ذا شخصية عملية، مستعدة دائما للعمل بمنهج الجماعة والانخراط معها بعيدا عن الأنانية التي تقتل الموهبة. ولا يتم ذلك إلا وفقا لتربية سليمة منظمة واضحة الأهداف.

المنارة للاستشارات

كما يمثل الرأسمال الاجتماعي عند بيير بورديو أحد العوامل الأساسية التي تزيد من ممارسة القوة والسلطة، فهو أداة تكريس اللاعدالة الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعين؛ مما يخلق بينهم نسق صراعي من أجل المصالح الفردية. ويعرف بيير بورديو الرأسمال الاجتماعي" مجموعة من الموارد الحالية والكامنة المرتبطة بشبكة دائمة من العلاقات الاجتماعية أو بعبارة أخرى الانتماء إلى جماعة لا ترتبط في ما بينها إلا بالممتلكات الجماعية، ولكن موحدة من خلال روابط دائمة ونافعة". (مجوب:02 نوفمبر، ص 07)

فقد عمل بيير بورديو من خلال تحليله السوسيولوجي إلى الوصول إلى مبدأ أساسي هو التفاوت في النجاح الدراسي للأطفال المنحدرين من طبقات اجتماعية مختلفة، فالأصل الاجتماعي يعتبر المميز الأساسي الذي يتحكم في النجاح المدرسي. فبخصوص الرأسمال اللساني مثلا، نلاحظ عدم تكافؤ بين أفراد الطبقات العليا والدنيا مما يزيد من حظوظ أفراد الطبقات العليا في النجاح الدراسي، فالمتعلمون الذين يريدون ولوج التعليم العالي يخضعون لانتقاء صارم وفق معيار القدرة اللسانية ومعايير تصحيح المشرفين بخصوص المعرفة النظرية و التطبيقية التي تتطلبها المادة التعليمية، وهنا يقول بورديو أن:

"التوزيع اللامتكافئ للرأسمال اللساني ذو المردودية النسبية، بين مختلف الطبقات الاجتماعية يشكل إحدى التوسطات الخفية والتي تتأسس خلالها العلاقة بين الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي". (Bourdieu et Passeron ,1970,p144)

ومنه تتجلى وظيفة المدرسة الأساسية بكل نظامها في إعادة إنتاج تقسيم الطبقي للمجتمع، وفي نفس الوقت الأداة الفاعلة في إنتاج المجتمع على نحو طبقي إن ثقافة المدرسة تحمل خصوصية الطبقة المهيمنة، مما يجعل التربية المدرسية تعيد انتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها. إن قوة التعسف الذي تمارسه الطبقات المهيمنة تضطر

المنارة للاستشارات

الطبقات المسحوقة إلى الاستسلام لما فرض عليها، ولا تجد بدا من الاعتراف، عن اقتناع أو دونه، بشرعية الثقافة السائدة و بالتالي شرعية التعسف الثقافي، وكنتيجة لذلك اعتبار أن ثقافتهم غير شرعية لذا يجب عدم التفكير فيها، والتمسك بما هو أرقى وأضمن ألا وهو الثقافة السائدة.

3. النتائج العامة للدراسة وتفسيرها:

في ضوء كل ما سبق، توصلت الدراسة إلى نتائج محددة فيما يتصل بتحليلها لخطاب التربوي، أهمها:

- إن الفكرة الجوهرية للكتاب، تتركز في اعتبار أن التعليم يعكس التمايزات الطبقية الموجودة داخل المجتمع الفرنسي. وبالتالي فالمدرسة هي انعكاس للتراتبية في المجتمع من هيمنة الطبقة البورجوازية على الانتاج المادي عبر وسائل الانتاج وهيمنتها كذلك على الانتاج الرمزي و المعرفي والذي تعتبر المدرسة أهم مؤسساته.
- توضح المعطيات التي يقدمها الكتاب على شكل رسوم بيانية جداول احصائية، هيمنة أبناء الطبقات العليا على المدرسة الفرنسية. (انظر كتاب إعادة الانتاج: ص ص 192- 216)
- هناك ارتباط واضح، بين النجاح المدرسي والتباين الثقافي واللغوي الذي يملكه التلميذ، واللذين يرتبطان بالدور الاجتماعي المنوط بالفرد.
- إن اللغة ليست وسيلة تلقين للعلوم بقدر أنها وسيلة توجيه للسلطة والهيمنة التي تتضمن في الوسط الاجتماعي والثقافي، كما توصلت الدراسة إلى أن الخطاب

المنارة للاستشارات

التربوي الغربي يستحق الاهتمام والعناية من قبل الدارس الاجتماعي واللغوي لما تحدثه الترجمة من اختلالات.

- يمكننا استجلاء الفكرة الأساسية في التحليلات التي قمنا بها وهي أن الثقافة وسط يتم فيه إعادة إنتاج الطبقة الاجتماعية السائدة وإعطاءها الشرعية، وذلك من خلال التربية المدرسة باعتبارها فضاء للتنافس والتطاحن والصراع واللامساواة الاجتماعية والطبقية.
- توصلنا إلى فرضية أساسية هي أن مخرجات النظام التعليمي ماهي إلا نتاج لتشكيلة اجتماعية معقدة أو شديدة التعقيد.
- لفت بيير بورديو الانتباه في تحليله لبنية النظام الثقافي لأهمية المكتسبات اللغوية، فإن رأس مال اللغوي لا يكف عن مزاولة تأثيره؛ بمعنى أن التمكنات اللغوية تحدد مسار الفرد في الجامعة، والعمل خاصة الأكاديمي، فكلما كانت التمكنات اللغوية جيدة تحصل الفرد على مكانة عالية، فهي تلعب دورا هاما في عملية الانتقاء.
- كشف بيير بورديو عن الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تمارسها سلطة الدولة والمجتمع على الفئة المثقفة وتوضيح كيف يتم ترتيبها بين الطبقات الاجتماعية و تهميش أبناء الطبقة الفلاحية والعمالية رمزيا بعد أن همشت ماديا.
- أن التربية المدرسية تكرس القهر الثقافي ليتحول لعنف رمزي، مما يشكل عند التلاميذ مقاومة ضد المناهج، والمعلمين، والإدارة مما ينتج عنه اتخاذ قرار استبعاد مبكر من المدارس سواء أكان ذاتيا أو إداريا.
- أنه ليست هناك سلطة غير مهتمة بالتربية والثقافة، حتى ولو كانت تقهر المثقفين وترتبهم في السلم الاجتماعي ترتيبا متوسط أو متدني. وأن ثقافة المدرسة تحمل

المنارة للاستشارات

خصوصية الطبقة المهيمنة، مما يجعل الخطاب التعليمي يعيد إعادة انتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها.

الخلاصة:

مما سبق يمكننا القول أن بتحليينا أشكال السلطة في الخطاب التربوي توصلنا إلى أن السلطة عبارة عن ممارسة اجتماعية قهرية في الخطاب التربوي؛ و أن العلاقات التي تدور داخل الوسط التربوي مسؤولة بالدرجة الأولى على تشكل الرأسمال الاجتماعي الذي له الأثر الكبير في نشأة المجتمعات، لذلك فهي ليست مجرد أثر ناتج عن إضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى مجتمع معين. والعمل بروح الفريق الواحد، يمثل حاصل مؤكد لمجموعة قيم الخير التي تزرع في شخصية الفرد.

لذا فإن السلطة المرغوب فيها هي سلطة العاطفة القائمة على مبدأ الاحترام والتقدير على أساس أن لا يطغى عليها جانب الذاتية والتداخل بين شخص المربي وما عليه. فمن خلال التجارب أن الأستاذ أو المربي الذي ينال حب الأطفال وتقديرهم هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر فيهم ويستطيع أن يعمل على تطوير ذكائه وتوجيهه بالسلطة التي يراها مناسبة له. و السلطة التي يجب أن تنبذ وتحارب هي تلك التي تبثر الحب وتحوله مقتاً وعداء تترتب عنه عدة أعراض وخيمة على الطفل أهمها العقد النفسية لأننا نكون قد قتلنا كرامة الطفل ووجوده كذات وشخصية متواجدة ضمن محيط قابل للتأثر بأقل القليل من الأحداث أبسطها الإهمال والتقصير. فالاتجاه الصراعي في علم الاجتماع وبكافة تفرعاته الكلاسيكية والحديثة التي تغزو الكتب والمراجع في علم الاجتماع جاءت أغلبها تدين الأسلوب السلطوي وتجمع على كونه أهم الركائز التي تعيق مسيرة تكوين الفرد وتجعل دوره جد سلبي على المستوى التربوي والنفسي والاجتماعي.

المنارة للاستشارات

المصادر و المراجع :

1. بوبكر بوخريسة(2017)، سوسيولوجيا بيير بورديو، تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية.
2. بيير بورديو وجان- كلود باسرون(2007)، إعادة الإنتاج- في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم-، تر: ماهر تريمش، الطبعة الأولى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. بيير بورديو(1994)، العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة: نظير جاهل، ، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.
4. حوته حسين سعد حسين(2015)، التعليم وتشكيل رأس المال الثقافي، بحث ميداني مقارن، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني سويف.
5. رزيقة مجوب، الرأسمال الاجتماعي، قراءة في أدبيات العلوم الاجتماعية، مقال بمجلة آفاق لعلم الاجتماع 02،نوفبر، (ب-س)، جامعة الجزائر.
6. عبد الغني عبود (1423/2002هـ)، طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، مجلة إسلامية المعرفة، بيروت، لبنان، العدد29: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
7. علي أسعد وطفة (2019)، الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو، مجلة النقد والتنوير، على موقع النقد وتنوير الدراسات الإنسانية، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2019/03/16، عبر الرابط: http://watfa.net
8. علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي، رؤية في طروحات بازل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الكويت، يناير 2013،http://watfa.net، بتاريخ: 2019/03/25، الساعة:14:03.
9. علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب(2004)، علم الاجتماع المدرسي، بنيوية الظاهرة ووظيفتها الاجتماعية،ط1،بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
10. الفتلاوي، كامل علاوي(2009)، العولمة ومستقبل الصراع الاقتصادي ، عمان، الأردن: دار الصفاء للنشر.
11. قطيشات، ليلى عبد الحليم (2004)، الكفايات المهنية لمديري و مديرات المدارس الثانوية العامة في الأردن و علاقتها باستراتيجيات إدارة الصراع التي يستخدمونها من وجهة نظر المديرين والمعلمين، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة عمان العربية، كلية العلوم التربوية و النفسية، قسم الأصول و الإدارة التربوية.

المنارة للاستشارات

12.معاش حسن (2018)، الأصل الاجتماعي للأسرة وانعكاساته على اتجاهات الأبناء (12-17 سنة) نحو ممارسة رياضة السباحة، أطروحة دكتوراه، تخصص النشاط البدني الرياضي التربوي، جامعة اكلي محمد أوحاج- البويرة- الجزائر.

13.انظر كتاب إعادة الانتاج: ص ص 192- 216.

14.Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron (1970), la reproduction, řlřments pour une thřorie du systrme d'enseignement, řdition de minuit, ḥditeur Les ḥditions de Minuit .Collection Sens Commun.

المنارة للاستشارات